للقارئ رأي:

«العين والمطفية» المسلسل المهزلة

«كارثة» تلفزية بامتياز عشناها ونحن نتتبع ذاك المسلسل الذي قدمته القناة الأولى والذي لا يحمل اسم مسلسل إلا في مخيلة مخرجه ومن أنتجه. فليس ضروريا أن يكون المرء دارسا أو مهتما بالمجال الدرامي ليقيم عمل «العين والمطفية» وليمنحه أدنى رتبة في العمل الدرامي ولمخرجه عدم الكفاءة لاخراج مسلسل تلفزي. فالمشاهد لحلقات هذا المسلسل يكاد يجزم أنه يتفرج على عمل من كاميرا شخص هاوي يأخذ لقطات متفرقة من هنا وهناك ويركب صورا كما يركب الطفل الصغير قطع لعبته المفككة ويوظف قرويين في مكان الممثلين يتحركون كما تتحرك الكراكيز ويكتب «سيناريو» لا يمت للكتابة الدرامية بصلة. ولكي نعطي البرهان على ماقلناه عن هذا المسلسل المهزلة ونتفادى الحديث العمومي، سنقوم بتحليل مختصر لجوانب هذا العمل فقط الدرامية والفكرية وسنغض الطرف عن الأدوات التقنية المتردية والتي استعملت أثناء التصوير حتى بدا بذلك الوجه الباهت صورة وصوتا. في انتظار أن يلتقي المتفرج المغربي مع الكاميرات الرقمية التي وعده بها مدير القناة الأولى لينافس بها الأعمال الأجنبية.

من الناحية الفكرية والدرامية نلاحظ أن مسلسل العين والمطفية لا يعالج قضية واضحة تكون بمثابة الحدث الرئيسي، فالواضح أن هناك أحداثا مشتتة بدون ربط بينها تتطرق لعدة قضايا: كالماء، الجفاف والهجرة وغيرها من المواضيع التي كان على المخرج /الكاتب أن يجعل واحدا منها موضوعا رئيسيا للمسلسل وأن يضع بجانبه أحداثا ثانوية تكون مندمجة معه تكمله في نسق متزن وتمدد من عمر المسلسل لا بحشو الأحداث بطريقة مرتجلة وتمطيطها دون مراعاة السياق الدرامي الخالي من التشويق الذي يدفع بالقمة إلى الأمام ويبقى على المتفرج ملتصقا بالعمل. أما من جانب السيناريو فقد تخللته أخطاء كثيرة من حيث الشكل وسيرورة الفعل الدرامي، فإذا كان الزمن والمكان عنصرين بأهمية قصوى وكان يجب التعامل معهما بنوع من الانضباط سواء خلال كتابة السيناريو أو عند عملية المونتاج فإن المسلسل لم يراع هذا الجانب وكمثال فقط: الفتاة التي توفي أبوها والتي نراها وقد كبرت فيما يظل الدركي الذي رأيناه منذ الحلقات الأولى وهو لا يزال يحقق في نازلة القتل. فالزمن قد مر ولا تغيير يلاحظ على سكان القبيلة لافي لباسهم ولا في ملامحهم وعند الانتقال من مشهد نهاري إلى مشهد آخر والعودة إليه نرى تحول نهاره ليلا دون الاشارة إلى مرور الزمن. من ناحية تقطيع المشاهد واللقطات وزوايا التصوير فحدث ولاحرج فالتقطيع غير منظم ولا يراعي الدلالة التقنية كالقطع الذي يدل على ثبات الزمن والمزج الذي يرمز إلى مرور الوقت. أما الكاميرا فنادرا ما كانت تتحرك سواء عموديا أو أفقيا باستعمال « الزوم» ومما زاد الطينة بلة الممثلون وإدارتهم التي سهر عليها المخرج بنفسه، حيث جاء بقرويين وأقحمهم في عمل المساكين لم يتعودوا عليه قط وكأن هدف المخرج هو فقط الوصول إلى واقعية مطلقة أو أن المسألة ربما اقتصاد في الميزانية لا غير.

والاشارة الأخيرة لسلبيات هذا المسلسل العديدة هي الموسيقى التصويرية والتي جمعت بين أنماط عديدة. وإذا كانت العادة تقتضي بأن المسلسل تتخلله موسيقى تصويرية موحدة خاصة بالعمل فقد جمع مسلسل العين والمطفية في هذا الجانب بين ماهو شعبي بدوي وبين ما هو سمفوني كلاسيكي مع موسيقى لأعمال عالمية (نموذج : موسيقى كلاسيكية ترافق حديث فلاحين!!).

لقد اجتمعت هاته العوامل وغيرها لتخلق لنا مهزلة من المهازل التي تعودنا عليها من إنتاجات هاته القناة التي فاتها الركب الاعلامي وأصبحت عائقا من عوائق التنمية في المغرب عوض أن تكون قاطرة تجر ميادين عديدة في هذا الوطن نحو الرقي، فالانتاجات الهزيلة وإبرام الصفقات مع سماسرة المسلسلات المصرية لاستيراد الخردة المصرية قد أصبح الوجه المميز لهاته القناة التي تستيقظ وتأكل وتنام على إهدار أموال هذا الشعب، وحينما تنجز عملا «وطنيا» يكون بهذا الشكل. فإلام يستمر هذا الحال المعوج؟

الرماش محسن

(مهتم بالسمعي البصري)